بسم الله الرحمن الرحيم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم

علمه صلى الله عليه وسلم

إن الناظر في كتاب الله الكريم يرى أن القرآن العظيم رفع شأن العلم والعلماء ، ولما كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو إمام العلماء ومصدرهم فيما علموا فقد تعددت آيات علمه ، ودلت في جملتها وتفصيلها على أن علمه صلى الله عليه وسلم علم موهوب من رب العالمين .

و بهذا عظم فضل الله عليه في علمه ، وقد تأيد ذلك بقوله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ... وإليكم بعض التفصيل .

قوله تعالى في قراءته صلى الله عليه وسلم :

(إقراء باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقراء وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم)

ويبين منها فضل الله الكبير على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله بالقراءة قبل أن يبدأ المتعلم بتعلم الكتابة والقراءة ... لتكون الكتابة سبيلا للقراءة ، ثم لتكون القراءة سبيلا لتحصيل العلم وتدوينه .

ودلت التجارب كذلك على أن تعلم الكتابة والقراءة يبطئ ويمشي الهوينى ، ويتقدم الناشيء في تعلمه رويدا رويدا فيبدأ في الكتابة بالحروف مقطعة ويجد مشقة في كتابتها ونقطها وتجويفها ...إلخ.، ثم يأخذ في تشبيكها فيجد مرحلة أصعب من المرحلة الأولى ، وبعد أن يكتب شيئا مرسوما له يملى عليه كلمات لم ترسم له فيخطىء التلميذ ويصوبه الأستاذ ثم يتعلم القراءة تدريجيا وتمر السنوات حتى يستطيع أن يقرأ قراءة المبتدئين ، ثم يجد السير حتى يتقن الكتابة والقراءة ويحصل بهما العلوم المختلفة ، حتى يشب ويتذوق ولا يزال يرقى في تكوينه العلمي إلى مماته ، والعلم كما قالوا بحق ... شيء لا يصلح إلا للغرس ... ولا يغرس إلا في النفس ... ولا يصاد بالسهام ... ولا يقسم بالأزلام ... ولا يورث عن الأعمام ... ولا يستعار من الكرام ... و إنما يتوسل إليه بافتراش المدر ... واستناد الحجر ... وركوب الخطر ... وإعمال الفكر ، هذه وسائل علم الكسب وهي طويلة وشاقة على المعلم والمتعلم كما ترى .

وقد أغنى الله تعالى رسوله الكريم عن تلك الوسائل كلها بقوله تعالى (إقراء باسم ربك) فكان أن قرأ ... والمعلم هنا هو الله جل جلاله الذي ينتهي إليه علم كل شيء ، وهو الذي تفضل من قبل على أبينا آدم عليه السلام فعلمه الأسماء كلها قبل أن تعلمها الملائكة ، وقال جل جلاله لسيدنا آدم تشريفا له (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وعندئذ قالت الملائكة (سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب) .

وأنت تستطيع أن تدرك بعد ذلك فضل الله على مولانا رسول الله في قوله تعالى (إقراء باسم ربك)
فالقراءة أشمل وأعم من معرفة الأسماء ويؤيدك في هذا الإدراك قوله تعالى (إقرأ وربك الأكرم)
وما أرقه من خطاب نال فيه حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم شرف الإضافة لربه الأعلى وما أعظمه من تشريف فكأنه تعالى يقول له أنت رسول كريم على ربك ، وكرامتك جاءتك عطاء من ربك الأكرم الذي علم غيرك بالوسائل وأغناك أنت عنها كمظهر من مظاهر التكريم الخاص
فغيرك تعلم بقلم اللوح المكتوب وهو قلم عاجز ... وتعلمت أنت بقلم اللوح المحفوظ وهو قلم القدرة ... وأين قلم عاجز عن قلم ناجز ... وأين معلم يفنى من رب يبقى ... وأين علم ينضب من علم يفيض ولا يغيض ... ويتصل ولا ينقطع أبدا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)
أمر بالقراءة استغنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وسائل القراءة والكتابة ، فلا لوح ولا قلم ، ولا محبرة ولا تدوين ، ولا مسح ولا خوف ، ولا نصب ولا زجر ولا ضرب من المعلم ،ولا تنافس بين الأتراب ، ولا امتحان ، ولا نقل من مرحلة إلى أخرى .
طوى كل هذا بكلمة ممن له الخلق والأمر سبحانه فقرب لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بعيد ، وسهل له كل عسير ، فقرأ لتوه باسم ربه ، وعلم ما لم يكن يعلم ، وذلك أثبت لمعجزته وأقوى في حجته .
قوله تعالى في توحيد الله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) :
هذه كلمة الحق التي قامت من أجلها السموات والأرض ، وهي كلمة النور التي أشرقت بها الكائنات ، وهي كلمة التقوى التي ألزمها الله سيد المرسلين وخاتم النبيين ، فهي أشرف وأرقى ما يعلمه العبد في حياته ، وما زاد عليها من العلوم فإنما يتصل ويدور عليها ، فإذا ضل المتعلم طريقها فقد عمى وغوى وصار ما عنده من العلم، كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، لذلك علمنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما علمنا (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)
كيف لا وقد بلغنا صلى الله عليه وسلم عن ربه الأعلى جل جلاله (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)
هذا في توحيد الله جل جلاله ... أما عن الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم (والإيمان بها مكمل للعقيدة) وقد بين الله تعالى ذلك في مثل قوله الكريم (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)

وقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) وقوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا)

يقول تعالى في شأن البيان:

(لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)

ونرى من هذه الآيات الكريمة أنه صلى الله عليه وسلم سارع للقراءة التي أمره الله تعالى أن يقرأها باسمه ، وذاق حلاوتها من أول حروفها ، كيف لا وهي من حروف القدم الذي لا أول له ولا انتهاء ، وبدا من القارىء حرص بالغ يستعجل به تحصيل المقروء من أحرف النور خشية أن يفوته نوره المبين وسره المكين ، فإذا بربه الأكرم يأمره امرا آخر فيه وعد لا يتخلف ممن قوله الصدق (لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه) اطمئن بالا ، فأنت قارئه بأمري والآمر جامعه بفضله في صدرك ومعلمك كيف تقرأه ، ومزودك ببيانه وتفسيره ،قائل ما أوحى إليك فيه من الأحكام على هدي ذلك البيان الشافي الذي لاغموض فيه ولا إبهام ، لأنه ليس من بيان البشر بل هو بيان العليم العلام .

قراءة لا يغشاها النسيان :

وقد يقرأ القاريء وينسى بعد حين ما قرأه ، فزيادة في بيان فضله تعالى على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعده وعدا ناجزا يزيده اطمئنانا على تثبيت قراءته صلى الله عليه وسلم فقال جل شأنه (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى)

والاستثناء في الآية وسيلة من وسائل التربية العالية، فما شاء الله أن ينسيه أنساه إياه ، لكنه ليس نسيانا للنقيصة ... ولكنه نسيان للآيات التي شاء الله أن تنسى لفظا وتلاوة . وهو صلى الله عليه وسلم من قبل ومن بعد ميسر لليسرى فلا عسرى عليه .

الله تعالى يعلمه الدعاء بزيادة العلم :

قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربي زدني علما)

أفادت الآية مسارعته صلى الله عليه وسلم لتلقي القرآن وحرصه على أن يعجل به ويحفظه لأن محبة المتكلم تقتضي محبة كلامه لأن الكلام صفة المتكلم ، فالكلام عليً من عليً ، وعزيزمن عزيز ، ولطيف من لطيف ... ومع هذا فقد تضمنت الآية وعدا بأن الله سيقضي إليه وحيه ولا يحرمه مما حرص عليه ، وختمت بدعوة كريمة اختارها له رب العالمين ... اختيار المحب لحبيبه ... والعليم لأثيره ... والمعطي لسائله (و قل ربي زدني علما)

فكأنه لا ملامة على استعجاله بالقرآن ، لأنه من الحرص على زيادة العلم الذي وجهه ربه إلى طلب المزيد منه وإنما هو تطمين لجمع القرآن في صدره ، وتعليم بأن الأمور مرهونة بأوقاتها
ومادام رب العالمين قد أمره بهذا الدعاء فقد دعا به لأنه العبد الكامل في عبوديته ، والله استجاب له لأنه ما أمره بهذا الدعاء إلا ليستجيبه له ما دعا به ، فكان صلى الله عليه وسلم في زيادة مستمرة من العلم الرباني والله ذو الفضل العظيم .

علمه صلى الله عليه وسلم علم له ولأمته :

قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)
أي كنت من قوم أميين لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان حتى تكون أخذت عنهم الكتاب والإيمان .
ويؤيد هذا الفهم قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون) ... على أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له وحده بل تعداه إلى أمته .
فدعا الأمة إلى الإيمان الذي آمن به ، وبلغهم كلام ربه ، وبين للناس ما نزل إليهم ، فاهتدى منهم من شاء الله له الهدى ، وبصرهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينهم فأمرهم وانهاهم فامتثلوا أوامره وانتهوا بنواهيه تنفيذا لقوله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فصار أمره أمر الله ، ونهيه نهي الله ، وبهذا هدي المؤمنون على يديه إلى صراط مستقيم بإذن ربه .
ويقول السادة الصوفية وهم أهل صفاء ومذاق أن هذه الآية تفيد أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى العلم والإيمان من عالم الأمر وهو عالم الجبروت بلا واسطة .
أما العلم الذي جاءه بواسطة الأمين جبريل عليه السلام فقد تلقاه من عالم الملكوت .
وهم يضيفون أن التلقي بلا واسطة من عالم الجبروت يفسر ما قاله مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : لي وقت لا يسعني فيه غير ربي ... ويقصدون أنه في وقت التلقي من عالم الجبروت يتلقى العلم بسر لا يعلمه إلا الله وحده ... وقد أشير إلى ذلك السر بقوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى) ... وفي تنكير (ما أوحى) تاكيد لهذا السر الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه ... ويشير إلى ذلك العارف بالله سيدي الشيخ أحمد الحلواني وسع الله عليه في رضوانه وهو والد أستاذي العارف بالله سيدي الشيخ عبد السلام الحلواني عليه سحائب الرضوان ...
فيقول :

خاطبته إذ لا حجاب لدى الخطاب ألا هنيئا ذلك الشرف الأتـــم
ومقام أو أدنى بذلك شاهـــد والمنعم الأعلى بذاك هو الحكم

ما ينبغي له صلى الله عليه وسلم أن يتعلم الشعر :

قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)

كان الشعر قبل بعثته صلى الله عليه وسلم مفخرة من مفاخر العرب حتى أنه إذا ظهر في أحد القبائل شاعر فرحوا به كأنه الفرج بعد اليأس ، فلما ظهر القرآن الكريم غط نوره على الشعر فخف بعد ظهور وضعف بعد قوة .

لكن القوم وهم أهل فصاحة وعناية باللفظ سمعوا القرآن فإذا هو في ظاهره أنيق وفي باطنه بحر عميق فتكلموا في ظاهره وظنوه شعرا من نوع جديد .